خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العز يز الخليفة الخامس للمسيح الموعود و الإمام المهدي عليه السلام

يوم 8 /2015/5

في مسجد بيت الفتوح بلندن

%%%%%

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِك يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ]، آمين.

في الجمعة الماضية كنتُ قرأت على مسامعكم بعض الأحداث التي ذكرها المصلح الموعود رضي الله عنه التي تصف لنا قاديانَ وما حولها في بداية دعوى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، حيث بيَّن أن حضرته عليه السلام كان يخرج للنزهة عندها في رفقة شخص أو شخصين فقط، وكان الطريق ضيقًا يمرّ بين الحشائش والأشواك، أما اليوم فإن قاديان تزدهر باستمرار، وازدهارها ليس كازدهار غيرها من القرى، بل كان الله تعالى قد أنبأ بازدهارها سلفا. إن القرى والمدن القريبة من الطرق الكبيرة تزدهر دوما، ولكن قاديان كانت قرية نائية، ولم يكن هناك طريق ممهد إليها، ومع ذلك أنبأ الله تعالى بازدهارها، فازدهرت، إذ يأتي الناس لزيارتها اليوم من أماكن بعيدة، وقد بُنيت في المنطقة التي تملكها الجماعة في قاديان بنايات كبيرة وجميلة حتى تستأذن الدوائر الحكومية الجماعةَ لعقد بعض مناسباتها في هذه المباني.

لقد ذكر المصلح الموعود رضي الله عنه آيةَ ازدهار قاديان في مكان آخر بمزيد من التفصيل فقال: انظروا كم هي عظيمة تلك الآية التي أراها الله في شخص المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. إنكم لم تجدوا ذلك الزمن ولكنا وجدناه ورأيناه، غير أنه ليس صعبا عليكم أن تتخيلوا آيات ذلك الزمن القريب. دعوا الآيات الأخرى جانبا، وخذوا المسجد المبارك مثلا، ففيه عمود في الجانب الغربي، والمسجد الأصلي القديم يقع على شمال هذا العمود، وكان عدد المصلين عندها يبلغ صفًّا حينا وصفّين حينًا. وكان في هذا الجزء من المسجد ثلاثة جدران، أحدها كان ما بين النافذتين هنالك، وكان الإمام يقف هنالك، والجدار الآخر كان في المكان الذي فيه العمود الآن، وكان هناك باب. وكان هذا المكان لا يسع إلا صفين من المصلين، وكان كل صف يسع خمسة مصلين على الأغلب، وكان كل المصلين عندها صفّا أو صفّين. ويتابع حضرته ويقول: أتذكر جيدا أنه عندما ازداد عدد المصلين وصاروا ثلاثة صفوف أخذتْنا حيرة شديدة من كثرتهم! مما يعني أنه لما بلغ عدد المصلين خمسة عشرة أو ستة عشرة أصابتنا حيرة كبيرة وقلنا إن عدد المصلين قد ازداد جدا. لعلكم لم تروا ذلك المكان من المسجد بإمعان النظر، بل الحق أن سكان قاديان الحاليين أيضا لم يروه بتدبر، ولكنه موجود، فاذهبوا وانظروا إليه (يقول أمير المؤمنين: على أهل

قاديان أن يتدبروا في هذا الأمر والذين يذهبون لقاديان في أيام الجلسة أو يزورونها خلال السنة عليهم أن يقفوا في ذلك المكان من المسجد، ويتخيلوا ذلك الزمن، فهذا سيزيدهم إيمانا على إيمان، ويتابع المصلح الموعود رضي الله عنه) كان من عادة الصحابة أنهم كانوا يستحضرون الذكريات القديمة بصورة عملية أحيانا، لذا عليكم أيضا أن تذهبوا هنالك وتروا ذلك المكان من المسجد. تصوروا ذلك المكان الذي كان يقف فيه الإمام في البداية، ثم أقيموا في تصوركم جدرانا مفترضة حول ذلك المكان، وتصوروا صفّين ثم صفّا ثالثا للمصلين، ثم قيسوا الحيرة التي أصابتنا عندما صارت فيه ثلاثة صفوف للمصلين وقلنا لقد أحرزنا نجاحا كبيرا، ثم فكّروا كيف أن أفضال الله تعالى حين تنزل فإنها تغيّر الأوضاع تماما.

ثم يذكر المصلح الموعود رضي الله عنه وهو يتحدث عن التغيير الذي حدث في أقاربه، فيقول: أتذكر أن التغيير حدث في أقاربنا أيضا الذين كانوا يعارضوننا في البداية ثم انضموا إلى الجماعة. أتذكر أنه كانت لنا غرفة طينية كنا نصعد عليها في صغرنا أحيانا لاعبين، وللصعود عليها كنا نستخدم درجًا كان قريبا من بيت مرزا سلطان أحمد المرحوم، وكانت زوجته التي انضمت فيما بعد إلى جماعتنا إذا رأتْني عندها قالت ما معناه: "فرخ الغراب يشبهه". ولما كانت أمي من خارج البنجاب، ولما كانت معرفتي بالبنجابية ضئيلة بسبب صغر سني، فلم أكن أفهم ما تقول لي زوجة عمي، فسألتُ أمي ذات مرة وقلت: ماذا تعني زوجة عمي بقولها هذا؟ فقالت: هذه الجملة تعني: فرخ الغراب يشبهه، وهي تعني من قولها هذا: أن أباك غراب –معاذ الله– وأنت فرخه وتشبهه تماما. ويتابع المصلح الموعود رضي الله عنه ويقول: ولكن انظروا كيف تغير الوضع تماما، فإن زوجة عمي كانت من قبل تنعتني بهذه الكلمات، ولكن فيما بعد لما كنت أذهب إلى بيتها كانت تستقبلني بحفاوة كبيرة وتقدم لي المفارش وتُجلسني عليها باحترام بالغ، وتتوجه إلي بأدب جم، ولو قلتُ لها لا تعملي لي شيئا ولا تتحركي من مكانك، فإنك كبيرة السن وضعيفة، فكانت تقول لي كلا، فإنك مرشدي. إذًا فقد رأيت زمنًا كانت تسميني فيه ابن الغراب، ثم رأيت زمنًا صرتُ فيه مرشدا لها. وبرؤية كل هذه الأمور يمكنكم أن تدركوا كيف أن الله يغيّر العالم إذا أراد أن يغيّره. فانظروا إلى هؤلاء القوم وانتفعوا منهم وأحدِثوا فيكم تغييرا طيبا يجعلُكم من أحباء الله ويُدخلكم في حزبه.

وكما قلت من قبل فإن هذه الواقعات توجّهنا إلى زيادة الإيمان وترقيته، وتفرض علينا أن نتقرب إلى الله تعالى، وتؤكد لنا أن تأييدات الله حليفة للمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وأنه يجب علينا أن نأخذ نصيبنا منها، وعلى الأحمديين من قاديان أن يهتموا بهذا الأمر خاصة. إن كثيرا منا يعرفون أن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام قد تنبأ أن قاديان ستزدهر كثيرا حتى تصل إلى نهر بياس، ونتحدث عن هذا الأمر من حين لآخر، فقد ذكرتُ في بعض خطبي الماضية روايات عن ذلك، واعلموا أن حضرته قد ذكر هذا الأمر بناء على الرؤيا. والرسم الذي قام به المصلح الموعود رضي الله عنه عن المسجد المبارك والمصلين فيه في أوائله يبين جليا أن هذا المسجد لم يكن أكبر من غرفة عادية، والحق أن ازدهار الجماعة بعدَها وتوسُّع المساجد بل ازدهار قاديان وامتدادها بحسب هذه النبوءة لآيةٌ من آيات المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. لا شك أن قاديان لم تتوسع بعد إلى الحد المذكور في النبوءة، ولكننا ما دمنا قد رأينا أن آيات كثيرة قد تحققت، فإننا موقنون أنه سيأتي يوم سترى فيه الدنيا كلُّها

تحقُّقَ هذه النبوءة أيضا. وكما قلت آنفا إن قاديان اليوم قد ازدهرت واتسعت كثيرا بالنظر إلى ما كانت عليه في ذلك الزمن، وقد نبّه حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه أبناء الجماعة إلى مسئولياتهم من خلال الحديث عن زوايا شتى لنبوءة امتداد عمران قاديان حتى نهر بياس، وهذه المسئوليات لا تقع على أهل قاديان فقط، بل على كل فرد من أفراد الجماعة أن يضع هذه المسئوليات نصب العين. ومن الأمور التي نبهنا إليها حضرته خلال الحديث عن زيادة عمران قاديان هو الصلاة، وهذا يبدو غريبا، فما العلاقة بين ازدهار قاديان والصلوات، ولكن في هذا يكمن جمال أقوال المصلح الموعود رضي الله عنه، حيث إنه يذكر جوانب مختلفة للشيء كاشفا أهميته أكثر.

لقد قال حضرته وهو يتحدث عن نبوءة امتداد عمران قاديان إلى نهر بياس: لقد رأى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في الرؤيا مرة أن عمران قاديان قد امتد إلى نهر بياس. وأفهمُ من هذه الرؤيا أن عدد سكان قاديان سيصل حتمًا إلى مليون فأكثر (علمًا أنه في تلك الأيام كانوا يقدرون زيادة سكانها هكذا) ولو بلغ عدد سكانها هذا القدر فيكون معنى ذلك أن نحو أربع مئة ألف شخص سيحضرون صلاة الجمعة هنا. لذا أرى أن هذا المسجد، أي المسجد الأقصى بقاديان، سيتوسع كثيرا، بل سنضطر لتوسيعه ليسع أربع مئة ألف من المصلين. (يقول أمير المؤمنين: إن توسيع المسجد بحيث يصلي فيه أربع مئة ألف شخص لأمرٌ صعب، فقد قمنا بتوسيع المسجد الأقصى، ولو وسّعناه أكثر بهدم البيوت المجاورة له فمع ذلك لن يسع هذا العددَ الضخم. لقد قمنا مؤخرا بتوسيعه إلى آخر حد ممكن، إذ كان ضروريا الحفاظ على البيوت الواقعة في منطقة دار المسيح لأن فيها مباني تاريخية من زمن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، لذا فمن المحال أن نهدم البيوت كلها. وحتى لو قمنا بهدمها كلها وضمِّها إلى المسجد الأقصى فلن يسع ثلاثَ أو أربع مئة ألف من المصلين. غير أنه ممكن تماما أن يأتي وقت مع ازدهار سكان قاديان أن نبني فيها مسجدا كبيرا يسع ثلاث أو أربع مئة ألف مصلّ. على أية حال لقد قال حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه هذا الكلام نظرًا إلى المسجد الأقصى حيث قال إننا سنضطر في يوم من الأيام لتوسيع المسجد الأقصى ليسع أربع مئة ألف من المصلين.

يمكن توسيعه من أربعة جوانب لهذا الغرض. المكان الذي ألقي فيه الخطبة الآن، هو خارج عن الجزء الذي كان مسجدا في زمن المسيح الموعود υ. يمكن أن يكون هذا المسجد حينذاك يقارب عشْر ما هو عليه الآن. فانظروا أنه من فضل الله تعالى أننا كلما وسّعنا مساجدنا ضاقت على المصلين سريعا لدرجة لا يجد الناس مكانا للصلاة فيها بينما تبقى مساجد الآخرين فارغة.

ثم سرد τ حادثا يتعلق بشخصه هو، وقد ذُكر من قبل أيضا فقال: لقد صدر مني ذات مرة فعلٌ خفتُ بسببه كثيرا إذ كنتُ مخطئا فيه، وقد سُئلتُ عنه أيضا فورا ولكنني مع ذلك أشكر الله تعالى أن ساحتي قد برِّئت سريعا. وبيان ذلك أنني كنت ذات يوم ذاهبا إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة. عندما خرجتُ من البيت رأيت شخصا عائدا من المسجد وقال: لا يوجد في المسجد مكان للصلاة. سمعتُ منه ذلك وعُدتُ إلى البيت وصليتُ الظهر.

بينما كان من واجبي أن أفحص بنفسي هل المسجد مكتظّ بالناس أم لا، وهل يوجد فيه مكان للصلاة أم لا، ولكني لم أفعل لسوء حظي.

إنها لمنّة الله عليّ أنني ملتزم بالصلوات منذ صغري ولم أدعَ صلاة تفوتني إلى اليوم. وما كان المسيح الموعود يسألني هل صليتَ أم لا. أذكر أنه عندما بلغتُ من العمر 11 عاما توضأت يوما لصلاة الضحى أو لصلاة الإشراق ولبستُ معطف المسيح الموعود υ وبكيت أمام الله تعالى كثيرا، وقطعتُ معه I عهدا أني لن أترك الصلاة في المستقبل أبدا. وبفضل الله تعالى لم أترك أية صلاة بعد هذا العهد والإقرار. ولكن مع ذلك كنت طفلا صغيرا وقد يتكاسل الطفل في أداء الصلاة بسبب انشغاله في اللعب. ذات مرة شكاني أحد عند المسيح الموعود وطلب منه أن ينصحني لأداء الصلاة جماعة بالتزام. كان السيد مير محمد إسحاق أصغر مني بسنتين وكنا نلعب معا في الصغر. كان جدي من الأمّ، مير ناصر نواب ذا طبيعة حادة بعض الشيء فكان يسخط أحيانا على مير محمد إسحاق ويأمره بقسوة بأداء الصلاة، وكان المسيح الموعود υ يعلم بذلك. فعندما شكاني شخص عند المسيح الموعود قال υ: أحدهما يصلي لأبيه بمعنى مير محمد إسحاق يصلي خوفا من أبيه، ولا أريد أن يصلي الثاني (أي أنا) خوفا مني بل أريد أن يصلي لوجه الله.

فلم يقل لي المسيح الموعود υ قط عن الصلاة، إذ كنت أداوم على الصلوات الخمس من تلقاء نفسي. (*ولا يفهمنّ الأولاد من ذلك أنه ينبغي أن لا يقول لهم الوالدان شيئا عن الصلاة، كما ينبغي أن لا يفهمنّ الوالدان أيضا أن لفْت انتباه الأولاد إلى الصلاة ليس من مسئوليتهم فكان المسيح الموعود υ يُحسن الظن كثيرا بالمصلح الموعود كما كان حضرته υ على علم بأن هذا الولد حصرا سيكون مصداق نبوءة المصلح الموعود لذا كان υ موقنا بأنه يصلي الصلاة لله وحده، وأن الله I سوف يصلحه على الدوام، ثم إن عمل المصلح الموعود الشخصي يشهد على أنه كان مهتما بالصلاة، إذ كان يدعو في الصلاة بخشوع كبير وكان عمره إحدى عشرة سنة. باختصار يقول حضرته*) ربما كان الله I يريد أن يزيل غفلتي، أي كان يريد أن يُبعد عني التقاعس البسيط الذي يصدر مني أحيانا في إقامة الصلاة جماعة. فقد قال لي المسيح الموعود υ حين رآني قد عدتُ إلى البيت دون أن أحضر صلاة الجمعة: محمود، تعالَ إلي. فلما ذهبت إليه سألني: ألم تخرج إلى صلاة الجمعة؟ فقلت قد خرجت من البيت وفي الطريق عرفت أن المسجد مزدحم وليس فيه أي مكان. (يقول حضرته) لقد قلتُ هذا الكلام وفي الوقت نفسه خشيت وقلت في نفسي لماذا وثقت بكلام الآخرين إذ لا أعرف هل ما قاله لي هذا الأحمدي كان كذبا أم صدقا، فإذا كان صادقا في القول فلا بأس، أما إذا كان قد كذب فبما أني نقلت كلامه للمسيح الموعود υ فسوف يسخط عليَّ المسيحُ الموعود υ ويقول: لِم كذبت؟ باختصار (يقول حضرته) إني قد خشيت في نفسي كثيرا مما سيقوله المسيح الموعود اليوم. وبينما أنا كذلك إذ جاء المولوي عبد الكريم المحترم بعد الفراغ من الصلاة لعيادة المسيح الموعود υ، إذ كان حضرته υ يعاني ألما في الكلية ولذا لم يخرج لصلاة الجمعة. كنت قريبا منه أترقب ماذا يحدث، ففور دخول المولوي المحترم سأله المسيحُ الموعود υ: هل جاء الناس لصلاة الجمعة بكثرة ولم يبق في المسجد متَّسع للصلاة؟ (يقول حضرته) وعند سماع هذا الكلام كاد قلبي يتوقف إذ لا أعرف هل كان

ذلك الرجل قال لي صدقا أو كذبا، لكن الله أكرمني وحفظ كرامتي. كان من طبع المولوي عبد الكريم أن يبدي الشكر الكثير على منن الله I، فلما سمع سؤال حضرته قال: يا سيدي، من منة الله أن المسجد ازدحم اليوم بالمصلين، ولم يكن فيه أي فسحة مطلقا. عندها أيقنت أن ما قاله لي ذلك الأحمدي كان صدقا. فإن الله I قد أودع سرَّ تقدُّم جماعتنا في أن تتوسّع مساجدنا وتظل عامرة بالمصلين دوما، فسوف تعمرون أنتم ما عمرتم المساجد. أما إذا تركتم المساجد فسوف يترككم الله. فاتساع قاديان وازدهار الجماعة الإسلامية الأحمدية ليس بناءً على المساحة والعدد فقط بل إن إظهار هذا التوسع يتوقف على عمران بيوت الله إلى جانب إعمار بيوتنا الشخصية. فكل أحمدي سواء كان من سكان قاديان الذي يريد أن يرى رقيّ قاديان أو كان من سكان ربوة ويريد ازدهار ربوة أو كان من سكان أي بلد آخر ويريد أن يسهم في تقدم الجماعة ويرى ازدهار الجماعة فيجب عليه الاهتمام بعمران المساجد أيضا بالإضافة إلى البنايات الأخرى إذ تُنال هذه الترقيات بفضل من الله وحده، وهو يَنزل بكثرة بتأدية حق عمران بيت الله. فاليوم حين نتكلم عن بناء المساجد فيجب أن نسعى جاهدين لأن تكون مساجدنا في كل مكان لا تتسع لنا، كما يجب بذل الجهود لإنشاء العلاقة الصادقة بالله I لئلا يتركنا أبدا، ولكي نتمكن شخصيا من مشاهدة تحقُّق كل نبوءة للمسيح الموعود υ بكل عظمة وهيبة.

ثم ذكر المصلح الموعود أوضاع قاديان بتفصيل أكثر انطلاقا من زمن صدور هذه النبوءة أنه كيف كانت الأوضاع في قاديان في ذلك الزمن، فقال: أذكر النبوءة المتعلقة بازدهار قاديان، ثم قال: وهي أن حضرته υ قد أنبأ أن قرية قاديان سوف تقطع أشواط التقدم باستمرار حتى تصبح مدينة كبيرة، وتصبح بحجم مدينة مومباي وكلكوتا. أي سيكون عدد سكانها قرابة مليون شخص، وإن البقعة السكنية لها ستمتد شمالا وشرقا، (لقد تكلم حضرته عن ذلك بحسب ذلك العصر تقديرا) حتى تصل إلى "بياس". (وهو اسم نهر يجري على بعد تسعة أميال من قاديان). فحين نُشرت هذه النبوءة كان عدد سكان قاديان قرابة ألفَي إنسان، وكانت جميع البيوت —ما عدا عدد قليل منها– مبنية من الطين، وكانت أجرة البيوت رخيصة جدا لدرجة كان البيت متوفرا بسهولة بأجرة ربع روبية تقريبا شهريا، كما كانت الأرض لبناء البيوت أيضا رخيصة إذ كان الإنسان يستطيع شراء قطعة أرض لبناء البيت بعشرة أو اثنتي عشرة روبية فقط. أما السوق فلم يكن يتوفر فيها من الطحين لروبيتين أو ثلاث روبيات، لأن الناس كانوا فلاحين وكانوا بدلا من أن يحفظوا الطحين في البيوت كانوا يحتفظون بالقمح ويطحنونه عند الحاجة. كانت هناك مدرسة ابتدائية حكومية واحدة وكان المدرِّس فيها ينجز أعمال البريد أيضا مقابل راتب بسيط إضافي، حيث كان البريد يصل مرة في الأسبوع. كانت جميع المباني داخل السور حول القرية. فلم تكن هناك أي وسائل في الظاهر لتحقق هذه النبوءة، لأن قاديان كانت تقع على بعد 11 ميلا من محطة القطار، وكان الطريق إلى قاديان غير معبد نهائيا. ومعلوم أن المدن التي تصل إليها السكة الحديدية أو الشوارع هي حصرا تتقدم، لم يكن في قاديان أي مصنع حتى تترقى المدينة بسبب إقامة العمال في ذلك المصنع، لم تكن هناك أي مؤسسة حكومية في قاديان لتتسبب في رقي قاديان، فلم يكن فيها أي مكتب على مستوى المحافظة ولا على مستوى المديرية، ولم يكن فيها مخفرٌ للشرطة، لم يكن في قاديان أي سوق، حتى يقال إنها بسببها ستتقدم. ولم يكن عدد مريدي المسيح الموعود

υ أكثر من بضع مئات في زمن صدرت فيه هذه النبوءة، حتى يأمرهم بإسكان قاديان لكي تتسع مساحتها ويرتفع عدد سكانها. فنظرا إلى هذه التفاصيل كل من يتدبر هذه النبوءة وينظر إلى قاديان المعاصرة التي تقطع أشواط التقدم بفضل الله وإن كانت مساحتها لم تمتد إلى بياس بعد، فسوف يصف قاديان المعاصرة آيةً بشرط أن يكون عاقلا ومنصفا.

فهذه الأمور كما قلت تزيد الأحمديين إيمانا حتما، إلا أنها في الوقت نفسه تلفت انتباه الآخرين أيضا، وكثيرون من الباحثين، يتوجهون إلى هناك من هذه البلاد. فهناك بروفيسور يعدّ خبيرا وباحثا متمكنا في الإسلام، قد ذهب إلى قاديان ليبحث في الأحمدية ويرى ما هو الإسلام الحقيقي الذي تُقدمه الأحمدية. فالانطباعات التي كتبها بعد العودة من هناك تحيِّر الإنسان وتذهله، كيف أن الأغيار أيضا يتعمقون ويستنتجون النكات. على كل حال سوف ينشر مقاله.

ثم يقول حضرة المصلح الموعود في مناسبة أخرى: ليس من الضروري أن يكون المشهد الذي رآه المسيح الموعود υ عن رقيّ قاديان، قد أُريَه كمشهد كامل لتقدُّم قاديان، إلا أنه من المحتم أن لا يكون رقيُّ قاديان أقلَّ من هذا، أما إذا أحرزتْ قاديان تقدما أكبر فلا يضر هذه النبوءة في شيء، بل سوف يزيدها عظمة وهيبة. فالرؤيا التي رآها المسيح الموعود υ لا تعني أن قاديان لن تتوسع أكثر من هذا، فمن المحتمل أن تتقدم قاديان بحيث يصبح نهرُ بياس داخلَ قاديان، وتتوسع قاديان بعد بياس إلى محافظة هوشيار بور.

ففي قاديان تُبنى حاليا مبان جديدة لتُستخدَم كمكاتب للجماعة، وبالإضافة إلى ذلك تُبنى بيوت أيضا للعاملين في الجماعة. كذلك حسّن الله تعالى ظروف سكان قاديان بوجه عام ووفقهم ليبنوا بيوتا أوسع وأكبر من ذي قبل، كما يبني الأحمديون ذوو السعة المالية من الهند كلها بيوتهم هنالك بل هناك أحمديون من مختلف أنحاء العالم متوجهين إلى هذا الموضوع. ولكن الأمر الأساس الذي يجب أن ينتبه إليه كل واحد من الأحمديين هو أن سر كل نوع من التقدم يكمن في أن يعمروا بيوت الله ويوطدوا علاقتهم معه Y ليكونوا جزءا من هذا التقدم. عندما ينسى أحدٌ اللهَ ينساه الله أيضا. وهذا الأمر ليس مقتصرا على تقدم قاديان فقط بل إن تقدمنا من حيث الجماعة أيضا منوط بأن تعمروا مساجدكم حتى تضيق على المصلين، عندها يمكن أن تتوقعوا نصرة الله وتأييده.

تذكّروا جيدا أن الله تعالى لم يعِد بتقدم قاديان فقط بل وعد برُقيّ الجماعة ككل. عندما نرى تحقُّق آية نزداد إيمانا بتحقق آية أخرى. في بعض الأحيان يقلق بعض الناس ويضطربون نظرا إلى الظروف السائدة، ومنهم من يقدّرون بأنفسهم ويتصورون أن أمرا كذا سوف يتحقق الآن بحسب نبوءة كذا وكذا. وبعضهم يقلقون بشدة نظرا إلى المشاكل والظروف القاسية. فمثلا جاء اليوم خبر من باكستان أن الحكومة في إقليم بنجاب حظرت كتب بعض المدارس الفكرية والأحزاب بعذر قمع الإرهاب. وقد صادرتْ أيضا بعضا من كتب الجماعة الإسلامية الأحمدية التي لا علاقة لها بالإرهاب قط. فقد حظرت الحكومة خاضعة لطلب المشايخ قليلي الفهم جريدة "الفضل" و"الخزائن الروحانية". فالحكومة تقبل كل ما يقوله المشايخ الذين لا يقرأون كتب المسيح الموعود υ ولا يتدبرون أنه

υ قدّم فيها تعليم الإسلام الحقيقي بصورة جميلة جدا، ودافع عن الإسلام دائما، وأرشد المشايخ وأهل الأديان الأخرى إلى الصراط المستقيم دوما.

على أية حال، أيًا كانت الظروف يجب ألا ندَع اليأس يقترب منا أبدا. لقد قال الله تعالى للمسيح الموعود υ أكثر من مرة: "إني مع الأفواج آتيك بغتة."

يقول المسيح الموعود υ حول هذا الموضوع: لا يمكنكم أن تتخيلوا اليوم متى ستأتي تلك النصرة، ولن تتخيلوا غدا أيضا متى ستأتي تلك النصرة. سوف تنهضون لصلاة التهجد وتفكّرون أن مسافة لا تزال باقيةً أمامنا ولا ندري ما مقدار المسافة التي يجب علينا قطعها. عندما تصلّون صلاة الفجر سوف ترون المصائب فوق المصائب، ولكن عندما تطلع الشمس تتداركم نصرة الله فورا، عندئذ ستكون المصائب فوق المصائب على عدوكم. فعليكم أن تقوُّوا إيمانكم وتدعوا لتقوية إيمانكم وتوطّدوا علاقتكم مع الله تعالى. سوف تطلع الشمس وستطلع حتما، وستأتي نصرة الله لا محالة إن شاء الله.

والآن أقدم لكم بعض الأمور المختلفة. لقد سألتني ذات مرة طفلة في درس الأطفال عن وضع الأكاليل على القبور، وقالت: هل في ذلك ضرر، وهل هذا جائز أم لا؟ قلت لها عندئذ بأن هذا أمر لغو من البدعات ولا فائدة منه فلا بد من اجتنابه.

في قاديان أيضا كان بعض الناس يقومون بمثل هذه التصرفات العبثية على قبر المسيح الموعود υ حتى نصبنا السياج حوله وأغلقنا المكان حتى لا تجد هذه البدعات رواجا. لقد علم سيدنا المصلح الموعود τ عن حادث من هذا القبيل فقال معلّقا عليه:

لقد أُخبرتُ أن بعض الناس يأخذون التراب من قبر المسيح الموعود υ تبركا، وبعضهم يضعون الأكاليل على قبره. كل هذه الأفعال لغو لا فائدة منها قط بل تؤدي إلى ضياع الإيمان. أية فائدة يمكن أن يجنيها صاحب القبر من وضع الأكاليل عليه. إن أرواحهم لا تكون في هذه القبور بل تكون في مقام آخر. ولكن مما لا شك فيه أن للروح علاقة نوعا ما مع القبر الظاهري أيضا. يجب أن يُفهم هذا الأمر بأن الله تعالى يخلق نوعا من العلاقة مع القبور الظاهرية لأرواح الأموات حيثما كانت. فذات مرة ذهب المسيح الموعود υ للدعاء على قبر رجل صالح وذكر فيما بعد ما مفاده: بينما كنتُ أدعو خرج صاحب القبر من قبره وجثى أمامي. ولكن هذا لا يعني أن روحه خرجت من التراب بل الحق أنه حين وقف المسيح الموعود υ على القبر سمح الله تعالى لهذا الرجل الصالح أن يأتي إلى قبره بناء على علاقة ظاهرية. يقول الله تعالى: [ثم أماته فأقبره] أي تُدخَل روح الإنسان في ذلك القبر بعد مماته بمعنى أنه تكون لها علاقة بالقبر نوعا ما، ونظرا إلى هذه العلاقة يدعو الإنسان لصاحب القبر، ولكن لا معنى لوضع الأكاليل عليه. لا بد أن يكون في قلب المسيح الموعود υ حماس شديد للدعاء لهذا الرجل الصالح لذا أرسل الله تعالى روحَه إلى القبر من مكانها الحقيقي، فجاء الرجل الصالح إلى القبر المادي ورآه المسيح الموعود υ كشفا.

لقد ورد في بعض الروايات أن المسيح الموعود υ سأل السكان القدامى في تلك المنطقة عن ملامح ذلك الرجل الصالح كما سمعوها كابرا عن كابر، فذكروها كما شاهدها المسيح الموعود بالضبط.

باختصار، الأكاليل لا تنفع الأرواحَ أو أصحاب القبور شيئا بل تنفعهم الأدعية، فيجب أن ندعو لهم. نلاحظ في هذا العالم أن الذين يُدفنون في التراب يصبحون ترابا. هذا هو القانون السائد في الطبيعة. فإذا كان الحال على هذا المنوال فماذا عسى أن تنفع أحدا الأكاليل ورائحتها؟ من المعلوم أن الأرواح تحضر دائما عند الله لنيل جزائها. وما علينا إلا أن ندعو الله تعالى ليزوِّد أصحابها بالثواب ويرحمهم، ولا يفعلنّ أحد على القبور ما ينم عن الشرك. من المعلوم أن الأحمديين لا يفعلون ذلك بفضل الله تعالى ولكن تصلنا الأخبار أحيانا بأن بعض الناس يضعون الأكاليل على القبور. فهذا عمل عبث لا جدوى منه ويجب ألا يحدث في مقابر الأحمديين.

هناك حادث آخر ذكره المصلح الموعود τ وهو يتعلق بتأليف كتاب المسيح الموعود υ: "فلسفة تعاليم الإسلام" وقراءتِه في الجلسة. وهذا الحادث غريب من نوعه ويخبر عن طبائع بعض الناس المعوجّة، بمعنى أنها لا تصبح معوجة فيما بعد بل تكون كذلك منذ البداية. يقول المصلح الموعود τ ما مفاده: عندما تقرر عقد مؤتمر الأديان في لاهور في عام 1897م طُلب من المسيح الموعود υ أيضا أن يكتب مقالات ليُقرأ فيه، وجاء الخواجة المحترم بهذا الرسالة. كان المسيح الموعود υ في تلك الأيام مصابا بالإسهال ولكنه مع ذلك بدأ بكتابة المقال وأنهاه بفضل الله تعالى. عندما أعطى المسيح الموعودُ υ مقالا مكتوبا للخواجه المحترم أبدى الخواجة كثيرا من اليأس وقال بأن هذا المقال لن ينال شيئا من التقدير بل سيسخر منه الناس، بينما كان الله تعالى قد أخبر المسيح الموعود υ إلهاما أنه سيكون غالبا على المقالات الأخرى. فرأى υ مناسبا أن ينشر إعلانا في لاهور بهذا الخصوص قبل الأوان، فكتب الإعلان وأعطاه للخواجة المحترم ليُطبع في لاهور ويُلصق في المدينة، وطمأن الخواجةَ كثيرا. ولكن لما كان الخواجةُ قد قرّر في قلبه أن المقال لغو وسخيف، والعياذ بالله، فلم ينشره ولم يسمح للآخرين أيضا بنشره. وعندما أصرّ عليه الناس مشيرين إلى أمر المسيح الموعود υ ألصق بعض الإعلانات على بعض الجدران خفية ليلا وفي مواضع عالية حتى لا يتمكن الناس من قراءتها، ولكن ليستطيع القول للمسيح الموعود υ بأن أمره قد نُفِّذ. كان الخواجة يرى المقال- الذي قال الله عنه بأنه سيكون غالبا على غيره- غير جدير بالقراءة في مجلس الباحثين والمحققين. فجاء اليوم الذي كان من المقرر أن يُقرأ فيه المقال. عندما بُدئ قراءة المقال، لم يمض على قراءته إلا وقت وجيز حتى صغى له الناس وسُحروا به كأن على رءوسهم الطير، كما ورد في التاريخ وكما يعلم الجميع. ظل الوقت يمضي رويدا رويدا ولم تتضاءل رغبة الناس فيه قط. زِيد وقتُ الجلسة ولكن لم يكن كافيا للمقال. ثم أُضيف يوم آخر في برنامج الجلسة بناء على إصرار الناس وأُكمل في ذلك اليوم مقال المسيح الموعود υ. وشهد الناس جميعا، بمن فيهم الموافقون والمعارضون، أن مقاله كان غالبا على المقالات الأخرى كلها وبذلك تحقق تماما ما قاله الله تعالى. ولكن ضعف إيمان الخواجة قد عتم على هذه النبوءة العظيمة. نحن نسرد هذه الأحداث اليوم للآخرين، ولكن لو نُشر الإعلان قبل الأوان على أحسن وجه لكان تأثيره أكبر بكثير من سردنا هذه الأحداث. ويمكن للمرء أن يتصور أهمية كان من الممكن أن تنالها النبوءة في حالة نشر الإعلان. يقول الناس اليوم بأن الخواجة كان محاميا خبيرا وبارعا جدا ولكن الحق أنه إذا تولّد الكبر في الإنسان وعلّق المرء على عقله أهمية أمام قول الله تعالى فتُسدل على عقله أغشية تترك صاحبها كأن عقله قد سُلب تماما.

الحق أنه عندما نعطي الآخرين هذا المقال للقراءة اليوم أيضا يتأثرون بأهميته العلمية وتعليم الإسلام الجميل أيما تأثير. بل في كثير من الأحيان أسأل الناس عن كيفية قبولهم الأحمدية، فيقولون أنهم قبلوها بقراءة كتاب "فلسفة تعاليم الإسلام" فقط. ولكن كان الخواجة المحترم يرى أنه سيكون مدعاة لاستهزاء الناس. ثم انظروا إلى تجاسره أنه كان يدّعي بيعة المسيح الموعود υ ومع ذلك لا يريد أن ينفِّذ أمره. ولكن عندما أثنى الناس عليه كثيرا فإنَّ فِعْل الله سبّب له الإهانة والخزي.

ذات مرة وصل إلى المصلح الموعود τ تقرير أن بعض الأحمديين حضروا جلسة كان المشايخ غير الأحمديين يسبون فيها الجماعة والصالحين الآخرين، فقال موجِّها الأنظار إلى كيفية الغيرة الإيمانية التي تُتوقع من الأحمديين: أولا، السؤال هو: لماذا يذهب المرء إلى مكان تُكال فيه الشتائم؟ يذهب بعض من الأحمديين أحيانا إلى مكان يخطب فيه المشايخ غير الأحمديين ليسمعوا خطاباتهم. إن ذهابهم وحده إلى هناك يوحي أنهم لا يتحلون بغيرة حقيقية لأنه لا يرغب أحد في الذهاب إلى مكان يُشتَم فيه أبوه ليسمع الشتائم بحق أبيه. ولا يحدث أيضا أن يُخبِر أحد شخصا أن الناس يشتمون أمّك في مكان كذا وكذا ثم يذهب ذلك الشخص إلى هنالك سريعا ليطّلع على تلك الشتائم البذيئة. فإذا كنتم تتحلون بالغيرة الحقيقية فكيف تذهبون لتسمعوا الشتائم بحق المسيح الموعود υ أو بحق إمامكم أو بحق الصلحاء الآخرين؟ أذكر أن الآريين عقدوا ذات مرة جلسة في لاهور والتمسوا منه υ أن يكتب مقالا ليُقرأ فيها. فقال υ: نعرف أن من عادة هؤلاء الناس أنهم سيشتمون حتما، لذا لن نشترك في جلستهم. ولكن قال الدكتور مرزا يعقوب بيك وبعض الناس الآخرين من لاهور الذين أمالهم الآريون إلى ذلك بالتملق والمداهنة: لقد بدأت في البلاد حركة سياسية جديدة مما أدى إلى التغيُّر في سلوك الآريين لذا عليك أن تكتب المقال وسينفع الإسلام كثيرا. فقبل المسيح الموعود υ رأيهم على مضض وكتب المقال وأرسل الخليفةَ الأول τ إلى لاهور لقراءته.

يقول المصلح الموعود τ بأني أيضا ذهبت معه كما ذهب بعض الناس الآخرون. قُرئ مقال المسيح الموعود υ الذي كان زاخرا بكلام الحب والتودد. وبعد ذلك قرأ أحد الآريين مقالا شتم فيه النبي ρ بوقاحة متناهية وأثار الاعتراضات الخبيثة نفسها التي يثيرها المسيحيون والآريون عادة. يقول حضرته: أنا أتأسف إلى هذا اليوم على الغفلة التي صدرت مني إذ بقيت في الجلسة. كان معي شخص آخر لا أذكر اسمه الآن، وعندما بدأ المحاضر الآري بالكلام القاسي جدا نهضتُ قائلا بأني لا أستطيع أن أسمعه لذا إني ذاهب. فقال لي هذا الشخص الجالس بجنبي: لا يزال المولوي (نور الدين) وغيره من علماء الجماعة جالسين، فإذا كان الخروج من الجلسة مناسبا لخرجوا حتما. قلت: إنهم أعلم بما في صدورهم ولكني لا أستطيع الجلوس. فقال صاحبي: إن طرُق الخروج كلها مسدودة، والحراسُ واقفون على الأبواب فإذا خرجت أنت من وسط الجلسة سيحدث شغب وضجيج لذا يجب أن تجلس بصمت. فانطلت عليّ حيلته وجلستُ ولكني أتأسف إلى اليوم على أنه لما أنشأ الله في قلبي فكرة طيبة فلماذا لم أخرج بعد ذلك. عندما سمع المسيح الموعود υ أنهم شتموا النبي ρ في الجلسة سخط بشدة وغضب على الخليفة الأول أيضا وقال: لماذا لم تخرجوا منها محتجّين؟ كان عليكم ألا تقبلوا الجلوس هناك قطعا. فقد أبدى المسيح

الموعود υ سخطه مرارا. يقول المصلح الموعود τ بأن المولوي محمد أحسن لم يحضر تلك الجلسة وأذكر أنه كان يؤيد كلام المسيح الموعود ويقول: لقد صدر منهم ذهول. يقول المصلح الموعود τ: سمعت كلمة "ذهول" لأول مرة منه بهذه المناسبة. كان حضرة المولوي يُبدي أسفه ويكرر القول بأنه قد صدر منهم "ذهول". على أية حال، فقد عفا المسيح الموعود υ بعد هنيهة.

يقول τ: إن قرار المسيح الموعود υ موجود أمامنا لذا يجب أن نأخذ الحيطة والحذر بعين الاعتبار دائما. ولكن لا ضير إذا نشرنا شتائمهم أحيانا بصورة كتاب لأن الشتائم أيضا تشكّل جزءا من التأييد للجماعة ولكن لا يصح الجلوس في مجلس مثله لأن الحضور فيه مدعاة للإضافة إلى أهمية ذلك المجلس، ولكن يمكن أن يُحفظ ما يقال فيه.

يتابع حضرته τ ويقول: ما يكتبه عنا معارضونا يجب الاحتفاظ به إذ لا بد من إطلاع الأجيال عليه. ولكن الجلوس في تلك المجالس لا ينفع الناس المعاصرين ولا الأجيال القادمة. فالذين يحضرون مثل هذه المجالس إنهم يقضون على غيرتهم. فأنصح أفراد الجماعة أن يأخذوا الحذر والحيطة بعين الاعتبار ولا يحضروا تلك المجالس.

إذًا، يجب على أفراد الجماعة صغارا وكبارا وشبابا أن يتذكروا ذلك ويخرجوا من مثل هذه المجالس، إذا صادفوها، عاملين بأمر القرآن الكريم. ندعو الله تعالى أن يوفقنا لأخذ القرارات الصائبة والسلوك على الصراط المستقيم دوما.

والآن أريد أن أقول بالمناسبة عن خطبتي يوم الجمعة الماضية، فقد ذكرتُ في خطبتي السابقة شفاء المسيح الموعود من السعال. ثم كتب إليّ أحد الإخوة أنه لم يُذكر الموز في ذلك الحادث بل ذُكر التفاح. فأقول: الأصل في الموضوع هو تحقق الإلهام المتعلق بذلك وقد تحقق. وجدير بالذكر أيضا أنه قد ذُكر في ذلك الحادث الموز والتفاح كلاهما. فقد قال υ أولا أنه أكل الموز، ثم توقف عن أكله وبعد قليل بدأ بأكل التفاح الذي أحضره السيد خليفة رشيد الدين، وكان حامضا جدا لدرجة يمكن أن يصاب الإنسان السليم أيضا بالسعال بتناوله. ولكنه υ قال مبتسما بأن الله أخبرني بأن السعال قد زال، فأكله مع عدم رغبته في أكله.

الأصل في الموضوع أن الله تعالى كان قد أخبره υ سلفا بأن السعال قد عولج بالدعاء ولن يضره الآن شيء كما حدث بالفعل.

أوضح هذا الأمر لأنه قد جاءتني رسالة بهذا الخصوص وقد تصلني رسائل أخرى عندما يقرأ الناس الحادث المذكور. كان تفصيل هذا الحادث موجودا عندي عندما ألقيت الخطبة الماضية ولكنني لم أقرأه حينذاك. على أية حال، لقد ذُكر الموز والتفاح كلاهما في هذا السياق كما ذكرتُ.

بعد صلاة الجمعة سأصلي صلاة الغائب على أحد الدراويش وهو الحاج منظور أحمد الذي توفّي في أول أيار في قاديان عن عمر يناهز 85 عاما، إنا لله وإنا إليه راجعون. لقد وُلد المرحوم في قرية "جانغريان" في محافظة سيالكوت في عام 1922م، كان والده حضرة نظام الدين صحابيا، ووالدته أيضا كانت صحابية للمسيح الموعود. بعد الحصول على التعليم الابتدائي تعلّم المرحوم صناعة مفروشات البيت مع إخوته. عندما دُعي الخدام إلى قاديان بناء على حساسية الأوضاع في عام 1947م جاء المرحوم لحراسة المركز ملبيا دعوة المصلح الموعود τ مشيا على الأقدام قاطعا مسافة 25 ميلا ومارًّا في المستنقعات والأوحال حتى وصل إلى "رتن باغ" في لاهور عند

المصلح الموعود τ. ثم وصل إلى قاديان في شهر أيلول أو تشرين الأول عام 1947م وانضم إلى صف الدراويش الأوائل وخدم الجماعة بكل شجاعة وبسالة في ظروف صعبة جدا. في أوائل الأيام حين كانت السقوف والجدران تسقط بسبب الأمطار كان المرحوم يصلحها بسبب براعته في هذا العمل. إضافة إلى ذلك كان يكلَّف بخدمات مهمة أخرى أيضا، وكلما كلِّف بخدمة أداها على أحسن وجه وجهد. وقد وُفّق لبناء الجدار حول "بهشتي مقبرة" وحماية الكتب في المكتبات، وهلُمّ جرًّا. كان يتواصل مع غير المسلمين حول قاديان لتحسين العلاقات معهم، وجعلهم يحبونه نتيجة حسن أخلاقه. كان بنّاء ماهرا، وكان يقوم بأعمال النجارة أيضا في مباني "صدر أنجمن"، وكان ينجزها على أحسن وجه مستخدما مؤهلاته ومواهبه. وقد وُفّق لتركيب الرخام في "منارة المسيح". وقد صنع آلة خشبية وأداة معينة لإيصال الرخام الثقيل إلى الأعلى لأنه لم تكن هناك طريقة أخرى حينذاك لإيصالها إلى الأعلى، وهكذا وضع الرخام على المنارة كلها. إن صنع القبة العلوية كان عملا صعبا ولكن الله تعالى وفّقه لهذا العمل أيضا. كذلك وُفّق للعمل بكل دقة في مساجد الجماعة في سرينغر وجامون ومسكرة وساندن، وكذلك في المسجد والمركز في دلهي وغيرها. وقد عمل عدة سنين في نصب الخيم بمناسبة الجلسة السنوية. كان حذرا جدا في إنفاق أموال الجماعة وكان ينجز أعمال البناء بنفقات قليلة وجودة عالية. في عام 1992م وُفق لحج بيت الله، كان يشترك في برامج الجماعة إلى آخر أيام حياته. لقد تزوّج بكل بساطة وبصورة معجزة. عاشت زوجته معه صابرة شاكرة في أوضاع مالية صعبة أيضا. لقد رُزق بستة أبناء وبنتينِ. كلهم متزوجون ولديهم أولاد. لقد توفِّي ابنان له في عز شبابهما فتحمّل هذه الصدمة بالصبر. توفِّيت زوجته من قبل. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاته ويوفق أجياله للتأسي بأسوته. فبعد صلاة الجمعة سأصلي عليه صلاة الغائب.